الصفرية والتابع في النحو العربي: دراسة في الحضور والغياب

عبد القادر أحمد عبد الله الحمزي[i]، د. عبده بي[ii]، د. سابق إم كي[iii]

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة نظرية الصفرية ونظرية التابع في النحو العربي، بوصفهما آليتين تحليليتين لمعالجة عناصر غير مستقلة في الجملة، إما من حيث غيابها الملفوظ (الصفرية) أو تبعيتها النحوية (التوابع). وتهدف الدراسة إلى تحليل المفهومين تأصيلاً وتطبيقاً، وبيان أوجه التلاقي والافتراق بينهما من حيث البنية، والوظيفة، والدلالة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، مستندة إلى شواهد من كتب النحو التراثية، ونماذج تطبيقية من الجمل العربية، بالإضافة إلى الإحالة إلى النظريات اللسانية الحديثة في ضوء مفاهيم البنية العميقة والبنية السطحية.

وأظهرت النتائج أن الصفرية تمثّل بعداً تأويلياً ذهنياً، يتعامل مع عناصر مقدّرة غائبة عن السطح اللفظي، لكنها حاضرة في البناء النحوي والدلالي، بينما يمثل التابع عنصراً ظاهراً يتبع المتبوع إعراباً دون أن يمتلك حكماً نحوياً مستقلاً. وقد كشفت المقارنة أن كلا النظريتين تسهمان في بناء جملة متماسكة من حيث التركيب والمعنى، وأن النحو العربي عالج عبرهما قضايا الحذف والاتساق بصورة متكاملة، بما يدل على وعي نحوي دقيق بالحضور والغياب داخل بنية اللغة.

الكلمات المفتاحية: الصفرية، التابع، النحو العربي، الحذف، التقدير، البنية العميقة، الاتساق التركيبي.

Zero Elements and Dependents in Arabic Grammar: A Study of Absence and Presence

Abdulqader Ahmed Abdullah Al-hamzi, Prof. Abdu P, Dr. Sabiq MK.

Abstract:

This study explores the concepts of Ellipsis (Zero Representation) and Dependents (Atbaʿ) in Arabic grammar, viewing them as two analytical mechanisms used to address non-autonomous elements within the sentence—either through their phonological absence (ellipsis) or through their syntactic dependence (dependents). The aim is to analyze and contextualize both concepts—theoretically and applicatively—while highlighting points of convergence and divergence between them in terms of structure, function, and semantic interpretation.

The study adopts a descriptive, analytical, and comparative methodology, drawing on evidence from classical Arabic grammatical works, as well as applied examples from Arabic sentences.

Furthermore, it engages with modern linguistic theories, particularly in relation to the notions of deep structure and surface structure.

The findings reveal that ellipsis represents a cognitive and interpretive dimension, dealing with elements that are unspoken yet syntactically and semantically present. In contrast, the dependent is a visible element that syntactically follows another without holding independent grammatical status. The comparison demonstrates that both theories contribute to the cohesion and coherence of the sentence at structural and semantic levels, reflecting a sophisticated grammatical awareness of both presence and absence within the architecture of the Arabic language.

Keywords: Ellipsis, Dependent, Arabic Grammar, Deletion, Estimation, Deep Structure, Syntactic Cohesion.

1: المقدمة

شكّلت قضايا الحذف والتبعية في النحو العربي محوراً من محاور الدرس النحوي المبكر، لما تنطوي عليه من تعقيد تركيبي ودقة تفسيرية تتعلق بالبنية الظاهرة والخفية للجملة. وقد تنبّه النحاة إلى أن اللغة لا تكتفي دائماً بما يُنطق، بل تتضمّن عناصر تُحذف لفظاً وتُفترض ذهنياً، وأخرى تُذكر صراحة لكنها لا تستقل بوظيفة نحوية. ومن هنا، برزت في التراث النحوي العربي معالجات غنية لما يُعرف اليوم بنظرية "الصفر النحوي" ونظرية "التابع"، وهي معالجات تقوم على أساس عقلي ودلالي يستند إلى قواعد السياق، والتطابق، والتقدير.

فالصفرية في النحو العربي تشير إلى العناصر المحذوفة التي يُقدّرها النحويون في التحليل دون أن تظهر في البنية السطحية، كالفاعل المستتر، أو الخبر المحذوف، أو الجواب المحذوف للشرط. أما التابع، فيشمل أنواعاً من العناصر الملفوظة كالنعت، والبدل، والعطف، والتوكيد، التي لا تملك حكماً إعرابياً مستقلاً، بل تتبع ما قبلها. ورغم الاختلاف الظاهري بين المفهومين، إلا أن كليهما يعكس جانباً من جوانب عدم الاستقلال النحوي، وهو ما يدعو إلى دراسة مقارنة تجمع بين الصفرية والتابع من حيث البنية، والوظيفة، والدلالة.

انطلقت هذه الدراسة من إشكالية مفادها: ما أوجه التلاقي والاختلاف بين نظرية الصفرية ونظرية التابع في النحو العربي؟ وسعت للإجابة عن هذا السؤال من خلال تحليل أمثلة تطبيقية، واستقراء طروحات النحاة القدماء، ومقارنة النتائج برؤى لسانية حديثة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، واستندت إلى شواهد نحوية موثقة، ونصوص عربية فصيحة، ومقاربات لسانية حديثة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعيد النظر في مفاهيم نحوية راسخة ضمن رؤية تحليلية تربط بين البنية الظاهرة والبنية المقدرة، وتبرز عمق التصور النحوي العربي في التعامل مع ما يُقال وما لا يُقال، وتؤسس لفهم أوسع لكيفية تنظيم الجملة في اللغة العربية. كما تهدف إلى بيان القيمة التفسيرية لكل من النظريتين، وتوضيح أثرهما في تحقيق التماسك التركيبي والدلالي للجملة..

2: الإطار النظري

2-1: نظرية الصفرية في النحو العربي

تُعدّ الصفرية أو "العنصر المحذوف" إحدى الآليات التي اعتمدها النحويون العرب لتفسير وجود عناصر مقدّرة في الجملة، غائبة على مستوى اللفظ، لكنها حاضرة في التحليل النحوي والدلالة السياقية. وقد أشار النحاة إلى هذه الظاهرة من خلال مصطلحات مثل: "محذوف"، "مستتر"، "مقدر"، "دل عليه السياق"، وهي تعبيرات تؤسس لما يمكن تسميته بـالتحليل البنيوي الغائب (ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص85، 1993).

أصلت كتب النحو العربي – بدءاً من الكتاب لسيبويه – فكرة العناصر المحذوفة التي يجب تقديرها لفهم المعنى أو ضبط الإعراب. فسيبويه مثلاً حين قال: "هذا باب ما يكون فيه الاسم مرفوعاً ولم يُذكر له فعل"، أشار إلى تقدير الفعل أو الفاعل عند غيابه، كما في "زيدٌ قائمٌ" (سيبويه، الكتاب، ج1، ص72، دار الكتب العلمية، 1988).

كما تابع الأخفش الأوسط ذلك في مسائل الحذف النحوي، مؤكداً أنّ "ما لا يظهر لفظاً لا يسقط وجوباً إن اقتضته الصناعة" (الأخفش، معاني القرآن، ص134، 2000).

وقد اتسع استخدام هذه الآلية في نحو الكوفيين والبصريين على السواء، فاستعملوها في تقدير الفاعل والخبر والمفعول، وفي الربط بين الجمل الشرطية، والأجوبة المحذوفة، وغيرها.

تظهر الصفرية في صور متعددة:

- الفاعل المستتر: "قام" ← الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره "هو" (ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص121، 1992).
- الخبر المحذوف: "زيدٌ في الدار" ← التقدير: "مستقرٌّ في الدار" أو "كائنٌ في الدار" (ابن عقيل، شرح الألفية، ج1، ص47، 2004).
- المفعول المحذوف للعلم به: "أكلت" ← المفعول: "الطعام" محذوف لتكراره أو ظهوره في السياق (السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص98، 2002).
- الشرط المجزوم المحذوف الجواب: "إن تذاكرْ، [تنجح]" ← الجواب يُقدّر سياقيّاً.

هذه التقديرات لا تُعتبر ضعفاً في التركيب، بل تُظهر مرونة الجملة العربية وقدرة التحليل النحوي على ملء الفراغ المعنوي والإعرابي وفق قواعد راسخة.

2-1-1: الصفرية في اللسانيات الحديثة

تعتمد الدراسات اللسانية الحديثة على مفهوم "العنصر المحذوف" الذي يكون غائباً في النطق لكنه حاضر في التحليل النحوي والدلالة. ومن أبرز أشكاله:

1. حذف أفعال الربط بين المبتدأ والخبر:
- مثال بالإنجليزية: He tall الجملة معناها "هو طويل"، لكنها خالية من فعل الربط "is"، وهو مقدَّر ذهنيّاً.
- مثال بالعربية: زيدٌ قائمٌ، لا يوجد فعل ربط، لكن يُفهم أن التقدير: "زيدٌ كائنٌ قائمٌ".
2. حذف الفاعل عندما يكون معروفاً من السياق:
- مثال بالإنجليزية: Speaks well فالمقصود "هو يتحدث جيداً"، لكن الفاعل محذوف.
- مثال بالعربية: ذهب إلى السوق، فالفاعل غير مذكور، لكن يُقدّر: "هو".
3. **غياب العلامة الصرفية مع ثبات المعنى:**
- مثال بالإنجليزية: One sheep, two sheep فالكلمة "sheep" تُستخدم للمفرد والجمع دون تغيير في الشكل.
- مثال بالعربية: ضربَ: فعل ماضٍ مفرد مذكر، لكن لا تظهر عليه علامات لفظية تدل على هذه الصفات، بل تُفهم من الصيغة والسياق.

تُظهر هذه الأمثلة أن غياب بعض العناصر في الجملة لا يعني غيابها وظيفيّاً، بل تُقدَّر ضمنياً في الذهن أو السياق، وهي فكرة متجذّرة في التحليل النحوي العربي منذ سيبويه، وتجد ما يُقابلها اليوم في التحليل اللساني الحديث.

وقد أشار إليها تشومسكي في نظرية البنية العميقة، مؤكّداً أن كثيراً من العناصر تكون "موجودة نحويّاً" رغم عدم ظهورها لفظاً (Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. 118, 1965).

وقد لاحظ تمام حسان أنّ النحو العربي "مارس فكرة الصفر دون أن يُصرّح بها مصطلحيّاً، من خلال آليات الحذف والتقدير" (تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص113، 1980).

2-2: نظرية التابع في النحو العربي

تعني نظرية التابع في النحو أن بعض الكلمات لا تستقلّ بإعرابها، بل تتبع كلمة سابقة (المتبوع) في الإعراب، سواء من حيث الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم. وقد ضبط النحويون التوابع في أربعة أنواع رئيسة: النعت، العطف، البدل، التوكيد (ابن هشام، أوضح المسالك، ج2، ص12، 1997).

ترتكز النظرية على مبدأ التطابق النحوي بين المتبوع والتابع. ففي المثال: "جاء زيدٌ الفاضلُ"، نجد أن "الفاضل" تابع في الإعراب للمبتدأ "زيد". وقد فصّل النحاة في أحكام كل نوع من أنواع التوابع، وبيّنوا شروطه وخصائصه، كما فعل ابن هشام في تقسيمه للتوابع، وشرحه لوجوه البدل وأنواعه (ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص33–66، 1992).

يؤدي التابع وظيفة مزدوجة الأولى نحوية: من خلال ربط الكلمات بإعراب موحّد، والثانية دلالية: من خلال التخصيص أو التوضيح أو التوكيد، ومثاله: "جاء خالدٌ نفسه" ← "نفسه" توكيد لفظي، وكذا قولنا: "قرأتُ

الكتابَ المفيدَ"، فالمفيد نعت يخصّص المعنى، وكذا: "نجح زيدٌ وعمروٌ" ← فعمرو معطوف يتشارك الإعراب، وقد ذهب عبد العال سالم مكرم إلى أن التابع "صورة من صور الاتساق الإعرابي الذي يعكس وحدة البنية داخل الجملة" (عبد العال مكرم، النحو العربي قضاياه ومناهجه، ص156، 1995).

2-2-1: التابع في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة

في اللسانيات الحديثة، يُنظر إلى "التابع" بوصفه عنصراً غير مستقل نحوياً، يعتمد في موقعه ووظيفته على "العنصر الرئيس" أو "الرأس النحوي" الذي يتقدّمه. ويُدرج التابع ضمن بنية الشجرة النحوية في التحليل التركيبي بوصفه فرعاً متصلاً برأس الجملة أو العبارة، كما في نظريات النحو القائم على التبعية، وتُعد العلاقات النحوية مثل العطف والنعت والتوكيد من مظاهر الاتساق النصي، إذ تسهم في ربط عناصر الجملة بعضها ببعض، وهو ما أكده هاليدي بقوله إن التوابع تُسهم في خلق وحدة تركيبية ودلالية داخل النص (Halliday and Hasan, Cohesion in English, p. 219, 1976).

2-3: المقارنة بين الصفرية والتابع في النحو العربي

تكشف المقارنة بين نظريتي الصفرية والتابع عن اختلاف جوهري في الطريقة التي يتعامل بها النحو العربي مع مكونات الجملة، إذ تعالج الصفرية ما غاب لفظاً وحضر تقديراً، بينما تعالج التوابع ما حضر لفظاً وتجرّد من الاستقلال الإعرابي. ومع أن لكل منهما نطاقاً تحليلياً مختلفاً، فإنّ التقاءهما في وظيفة ضبط البنية النحوية وتماسك الجملة يبرر دراسة أوجه التلاقي والافتراق بينهما.

يمكن رصد عدد من القواسم المشتركة بين النظريتين:

1. الوظيفة النحوية التكميلية: فكل من الصفر والتابع لا يُعدّ عنصراً مستقلاً نحوياً، بل يتعلّق بعنصر آخر قبله.
2. العلاقة السياقية: فظهور التابع، أو تقدير الصفر، مشروط بالسياق النحوي والدلالي للجملة.
3. إبراز التماسك التركيبي: الصفرية تكمل النقص في الجملة، والتوابع تعمّق الاتساق بين عناصرها.
4. وجود ضوابط صارمة في كل منهما: فكما أن التقدير الصرفي للصفر يُضبط بالقواعد، فإن تبعية التوابع يُحكمها التطابق الإعرابي (ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص187، 1993).

ورغم نقاط التلاقي، إلا أنّ بين النظريتين اختلافاً جذرياً على عدّة مستويات، يمكن تلخيصها في الجدول التالي:

جدول (1): أوجه الاختلاف بين النظرية الصفرية ونظرية العامل

وجه المقارنة	الصفرية	التابع
الوجود اللفظي	عنصر غير ملفوظ – محذوف مقدّر	عنصر ملفوظ ظاهر
الاستقلال النحوي	غير مستقل، ويقدّر ذهنياً	غير مستقل، ويتبع عنصراً ظاهراً

الوظيفة	إكمال البنية الجملية الناقصة	تعزيز البنية الجملية الموجودة
الموقع التحليلي	بنية عميقة	بنية سطحية
المعالجة النحوية	تقدير صامت في الذهن	تطبيق قواعد إعرابية ظاهرة
الرؤية النحوية	تأويلية – ذهنية	تركيبية – لفظية
الحكم النحوي	يُقدَّر حسب السياق أو الصناعة	يُعرَب وفق موقع المتبوع

وقد لاحظ الباحث محمد حماسة عبد اللطيف أنّ الفرق بين التابع والعنصر المحذوف هو أن الأول "يمثّل حضوراً تابعاً"، والثاني "يمثّل غياباً متحكماً" (عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص201، 2001).

تكشف هذه المقارنة عن توازن عميق في الرؤية النحوية العربية، فهي لم تقتصر على التحليل الظاهري للعناصر اللفظية، بل تجاوزت ذلك إلى تمثيل العناصر الغائبة ضمن سياق ذهني، مما يجعل النحو العربي سابقاً في استيعاب مفاهيم تُعدّ اليوم من ركائز اللسانيات التوليدية، مثل الفرق بين البنية السطحية والعميقة، والعناصر الصفرية والتابعة.

ISSN: 2394-4862

3: المنهجية:

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك من خلال تتبع مفهومَي الصفرية والتابع في مصادر النحو العربي القديمة، وتحليل نماذج تطبيقية من الجمل التي تمثّل كلّاً منهما، ثم إجراء مقارنة منهجية بين آليات اشتغالهما داخل البنية النحوية. كما استندت الدراسة إلى مجموعة من الشواهد الموثّقة من كتب النحو التراثية مثل الكتاب لسيبويه، ومغني اللبيب لابن هشام، وهمع الهوامع للسيوطي، إضافة إلى الإفادة من مفاهيم البنية العميقة والبنية السطحية في النظريات اللسانية الحديثة، خصوصاً ما ورد في أعمال تشومسكي وهاليدي. وقد تم توظيف الجداول التحليلية والمقارنة لتوضيح الفروق البنيوية والوظيفية بين الصفرية والتوابع في الجملة العربية.

4: النتائج والتحليل

اعتمد هذا البحث في مقاربته لنظريتي الصفرية والتابع على قراءة تحليلية مقارنة تستند إلى المصادر النحوية الأصيلة والدراسات اللسانية الحديثة. وقد أتاح التحليل الوصول إلى مجموعة من النتائج العلمية، التي توضح طبيعة كل من النظريتين، وتبرز جوانب التلاقي والاختلاف بينهما، كما تكشف عن عمق التصور النحوي العربي في تعامله مع الغائب والتابع ضمن بنية الجملة.

1-4: النظرية الصفرية وتفسيراتها النحوية

لتسهيل عرض البيانات تم تصميم جدول يضم نماذج تطبيقية لنظرية الصفرية في النحو العربي، ويوضح كيف تعامل النحاة مع العناصر المحذوفة باعتبارها "حاضرة ذهنياً"، تؤدي وظيفة نحوية كاملة، رغم غيابها في البنية الظاهرة:

جدول (2): نماذج تطبيقية لنظرية الصفرية وتفسيراتها التحوية

م	الجملة	العنصر الصفري	الوظيفة النحوية	التقدير النحوي
1	قام	فاعل مستتر	فاعل مرفوع	الفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"
2	زيدٌ في الدار	خبر محذوف	خبر المبتدأ	الخبر محذوف، التقدير: "مستقرٌّ في الدار"
3	إن تجتهدْ، تنجحْ	جواب الشرط محذوف	جملة جواب شرط	يُقدّر: "فستنجحْ"، والجملة محذوفة للدلالة
4	أكلت	مفعول به محذوف	مفعول به منصوب	التقدير: "أكلتُ الطعام"
5	هذا الجدار	مبتدأ بلا خبر	خبر محذوف	التقدير: "هذا الجدارُ ثابتٌ"
6	إنما المؤمنون	خبر محذوف	خبر إن	التقدير: "إنما المؤمنونَ إخوةٌ"
7	من اجتهدْ...	جواب الشرط محذوف	جملة جواب	التقدير: "من اجتهدْ [نجح]"
8	نعم الرجل	الفاعل محذوف	فاعل لنِعم	التقدير: "نِعمَ الرجلُ زيدٌ"
9	صه	مفعول محذوف	مفعول به لفعل الأمر	التقدير: "صه عن الحديثِ"، أي: اسكتْ عنه
10	ألا أيها الليل الطويل...	منادى محذوف	أداة نداء + محذوف	التقدير: "يا هذا الليل الطويل..."

يبين الجدول أعلاه ما يأتي:

1. غياب العنصر الملفوظ لا يلغي حضوره النحوي: حيث تكشف أمثلة الجدول أن العنصر الغائب لا يُعدّ حذفاً سطحياً فقط، بل يُعوّض بتقدير دقيق يُستدل عليه من القرائن السياقية أو مقتضيات الصناعة النحوية، مما يدل على أن النحو العربي لم يكن معنياً فقط بالمسموع، بل بالمفترض كذلك،

ومثاله: في جملة "قام"، لا يظهر الفاعل، لكن التقدير الذهني يفرض وجود ضمير مستتر، وهذا يتوافق مع ما ذكره ابن هشام: "والفاعل لا بد منه، وإن لم يُلفَظ" (مغني اللبيب، ج1، ص121)

2. الصفرية تعكس منهجاً ذهنياً وتأويلياً في التحليل، فالنحاة لم يعالجوا الحذف بوصفه نقصاً، بل بوصفه موضعاً للاستحضار العقلي، وهذا يتجلى في مثال: "زيدٌ في الدار"، حيث تُبنى الجملة على مبتدأ وظرف، بينما الخبر محذوف يقدَّر ذهنيّاً، وهو ما يدل على مهارة تفسيرية دقيقة، وقد قال تمام حسان: "الصفر عنصر وظيفي غير منطوق، يُفهم من السياق أو التركيب العام" (اللغة العربية معناها ومبناها، ص113).
3. الصفر النحوي يؤدي وظيفة كاملة رغم غيابه: ففي كل مثال، نلاحظ أن العنصر المحذوف يؤدي وظيفة إعرابية كاملة: فاعل، خبر، مفعول، جواب شرط، منادى، وغيرها، وهذا يؤكّد أن الصفر النحوي ليس فراغاً اعتباطياً، بل مكوّن نحوي دلالي، يُستعاد من السياق أو البنية العامة للجملة.
4. مرونة النحو العربي في تعويض الغياب البنيوي، فالأمثلة تدل على أن النحو العربي يمتاز بـالمرونة والقدرة على التقدير دون إخلال بالتراكيب، فهو يسمح بإسقاط العنصر إذا دلت عليه القرينة، ثم يُقدّره عند الحاجة التحليلية، وهذا يتفق مع تصور اللسانيات التوليدية لفكرة Zero Category، حيث يغيب المكوّن من البنية السطحية، لكنه يُمثل في البنية العميقة (Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, p. 117).
5. أنماط الصفر متنوعة وظيفياً وتركيبياً: يتضح أن الصفرية لا تقتصر على نوع نحوي واحد، بل تتوزع بين: الأسماء: "زيد في الدار"، والأفعال: "قام"، الجمل: "من اجتهد نجح"، وأدوات الشرط أو النداء: "ألا أيها الليل..." فالنداء هنا محذوف، وهذا التنوّع يبيّن أن الصفر مكوّن بنيوي متعدد السياقات، وليس محصوراً في موضع إعرابي واحد.

تؤكد نتائج الجدول أن الصفرية ليست حيلة تجميلية لتغطية الحذف، بل آلية تركيبية تأويلية في صلب البنية النحوية، فالأمثلة تُظهر كيف تعامل النحو العربي مع ما غاب ظاهراً وحضر تقديراً، بأسلوب منهجي ومنضبط، كما تبرهن على أن الصفر النحوي يؤدي دوراً بنيوياً ودلالياً أساسياً، لا يمكن إغفاله في التحليل اللغوي.

2-4: التابع: وظيفته وعلاقته بالمتبوع

لتسهيل عرض البيانات تم تصميم جدول يوضّح أمثلة تطبيقية على نظرية التابع في النحو العربي، ويتضمّن أنواع التوابع الأربعة الرئيسة: النعت، العطف، التوكيد، البدل، مبيّناً طبيعة كل تابع، ووظيفته، ومدى ارتباطه بالمتبوع من حيث الإعراب والدلالة:

جدول (3): نماذج تطبيقية للتابع ووظيفته وعلاقته بالمتبوع

الجملة	التابع	نوعه	الوظيفة الإعرابية	العلاقة بالمتبوع
حضر الطالبُ المجتهدُ	المجتهدُ	نعت	مرفوع	يتبع الطالب في التعريف والرفع
قابلتُ زيداً نفسَهُ	نفسه	توكيد لفظي	منصوب	يؤكد زيداً لفظاً ومعنًى
قرأتُ الكتابَ المفيدَ	المفيدَ	نعت	منصوب	يخصص الكتاب بوصف
أكرمتُ زيداً وعمرواً	عمرواً	معطوف	منصوب	معطوف على زيد في الحكم والإعراب
جاء خالدٌ أخوك	أخوك	بدل بعض من كل	مرفوع	بدل من خالد
قابلتُ المدرسَ المدرسَ	المدرس الثاني	توكيد لفظي	منصوب	تكرار تأكيدي لنفس اللفظ
زارني الطالبُ الفاضلُ	الفاضلُ	نعت	مرفوع	تابع في التعريف والرفع
رأيتُ المديرَ عينه	عينه	توكيد معنوي	منصوب	يؤكد المعنى لا اللفظ فقط
شربتُ الماءَ واللبنَ	اللبنَ	معطوف	منصوب	يتبع الماء في الحكم والنصب
فاز محمدٌ أخوه	أخوه	بدل كل من كل	مرفوع	بدل من محمد

يبين الجدول أعلاه ما يأتي:

1. التابع عنصر ظاهر لكنه غير مستقل: فيُظهر الجدول أن التابع، رغم حضوره اللفظي في الجملة، لا يملك محلّاً نحوياً مستقلاً، بل يرتبط تماماً بالمتبوع في الموقع الإعرابي، ويأخذ حكمه كاملاً، مثلاً: في "حضر الطالبُ المجتهدُ"، النعت "المجتهد" لا يُعرب وحده، بل يُعرب تابعاً للطالب في الرفع والتعريف.
2. كل تابع يؤدي وظيفة محددة داخل البنية: فلكل نوع من أنواع التوابع وظيفة مستقلة: فالنعت مثلاً؛ يوضّح أو يخصّص الاسم (مثال 1، 3، 7)، والتوكيد: يعزّز الثقة في النسبة (مثال 2، 6، 8)، العطف: يربط بين كلمتين أو جملتين (مثال 4، 9)، البدل: يوضح المقصود الحقيقي بالاسم الأول (مثال 5، 10)، وهذا التنوع يجعل التوابع أدوات مرنة في البناء الجُملي، تُسهم في التوضيح، والتكرار، والتفصيل.

3. ارتباط التابع بالمتبوع مشروط بالتطابق الإعرابي: فيشترط في التابع التطابق مع المتبوع في حالة الإعراب: رفعاً أو نصباً أو جرّاً، والتعريف أو التنكير (في النعت)، والعدد والجنس (في بعض التوكيدات)، وهذا ما يجعل التابع تابعاً شكلياً ووظيفياً، لا يملك حركة مستقلة ولا حكماً إعرابياً مختلفاً عن سابقه (ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص43).
4. التوابع تبرز التماسك التركيبي الظاهر: فبينما تعمل الصفرية على تعويض الغياب، تعمل التوابع على تقوية الحضور، وذلك بإضافة مزيد من التخصيص أو التأكيد أو التوسيع لمعنى المتبوع، وهذا ما يُظهر أن التوابع تمثّل بنية وظيفية سطحية تعزّز تماسك الجملة ووضوحها الدلالي، دون أن تخرق النظام الإعرابي.
5. الوظيفة البلاغية للتابع تكاد تتجاوز الوظيفة الإعرابية؛ خاصة في التوكيد والبدل والنعت، فالتوابع تؤدي أدواراً بلاغية دقيقة؛ مثل التوكيد بـعينه"، لتقوية النسبة، أو النعت بـالفاضل للدلالة على مدح، أو البدل بـأخيه" لتمييز المقصود، وهذا ما لاحظه السيوطي بقوله: "إن التوابع ليست عبثاً، بل تحمل معنى زائداً لا يحمله المتبوع وحده" (السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص217).

وبناءً عليه فأمثلة الجدول تؤكد أن التابع عنصر ظاهر غير مستقل نحوياً، وهو في ذلك يقابل الصفر الذي هو غائب غير مستقل، وتُظهر التوابع أنها أدوات بنيوية – بلاغية في آن، تسهم في انتظام بنية الجملة وتقوية الدلالة، وتبرز مرونة النحو العربي في التعامل مع الظواهر الإعرابية المعقدة دون كسر للنظام العام للجملة.

ISSN: 2394-4862 مجلة اللغة علمية . محكمة . مصنفة .

4-3: المقارنة بين نتائج الصفرية والتابع

أظهرت النتائج المتعلقة بكل من نظريتي الصفرية والتابع أن النحو العربي قد تعامل مع نوعين مختلفين من العناصر: الأول: غائب عن السطح اللغوي لكنه مفترض ومؤثر في البنية (العنصر الصفري)، والثاني: ظاهر في السياق لكنه غير مستقل في الإعراب (التابع)، وتكشف هذه المعالجة عن توازن دقيق بين التحليل الذهني التأويلي والتحليل التركيبي الظاهري، وهو ما يعطي البنية النحوية العربية قدرة استثنائية على احتواء كل من الحذف والتبعية.

4-3-1: أوجه التشابه في النتائج

تبين الأمثلة التطبيقية السابقة عدة أوجه للتشابه ويمكننا تلخيصها فيما يأتي:

1. كلا العنصرين غير مستقل نحويّاً: فالفاعل المستتر أو المفعول المحذوف في الصفرية لا يُعرب استقلالاً، كما أن التابع – كالنعت أو التوكيد – يتبع المتبوع دون استقلال.
2. كلاهما يخضع لقواعد صارمة في التقدير أو الإعراب: فالعنصر الصفري يُقدَّر بدقة وفق السياق، والتابع يتبع المتبوع وفقاً لنظام تطابق إعرابي واضح.

3. كلاهما يسهم في تماسك الجملة: فالصفرية تملأ فراغاً بنيوياً، والتابع يعمّق الارتباط الظاهري بين الكلمات.
4. كلاهما يعكس وعياً نحوياً متقدماً: إذ يتطلبان قدرة تحليلية عالية لاستنتاج البنية التحتية للجملة أو ضبط العلاقات بين عناصرها.

4-3-2: أوجه الاختلاف في النتائج

يمكننا تلخيص أوجه الاختلاف في نتائج الأمثلة التي تم طرحها آنفا ونختصرها في الجدول أدناه

جدول (4): أوجه الاختلاف بين الصفرية والتابع من خلال النتائج

وجه المقارنة	الصفرية	التابع
الوجود اللفظي	عنصر غير منطوق – يُقدَّر ذهنيّاً	عنصر منطوق ظاهر في السياق
التحليل النحوي	يتم بتقدير السياق والعامل المحذوف	يتم بضبط العلاقة الإعرابية بالمتبوع
البنية المقابلة	بنية عميقة (Deep Structure)	بنية سطحية (Surface Structure)
الوظيفة النحوية	تكملة ما غاب من أركان الجملة	تعزيز وضوح الجملة وتوسيع معناها
المرجعية السياقية	أساسية في استخراج العنصر الغائب	غير مطلوبة غالباً إلا في حالات الالتباس
المجال البلاغي	أقل حضوراً بلاغياً، أكثر نحواً وتقديراً	أوضح حضوراً بلاغياً (مدح، توكيد، تخصيص...)

من خلال ما تم طرحه يظهر أن نظرية الصفرية تشتغل في مستوى تأويلي داخلي، حيث يستعين النحوي بالذهن والسياق لاستعادة ما سُقِط من البنية، وهي بذلك تُظهر الفكر المجرد عند النحوي العربي، في المقابل، تعمل نظرية التابع في المستوى التركيبي الظاهر، وهي مرتبطة بـالوظيفة النحوية الظاهرة، مما يجعلها أكثر قرباً من التحليل البنيوي في اللسانيات الحديثة.

تمثل الصفرية والتوابع معاً رؤيتين تكميليتين: الأولى: تعوّض الغياب (الصفرية)، والثانية: تعزز الحضور (التوابع)، وكلتاهما تسهمان في خلق بنية لغوية متوازنة ومتماسكة.

5: مناقشة النتائج

تُظهر النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة أن النحو العربي – بثراء مفهوماته وتعدد آلياته التفسيرية – قد استطاع أن يتعامل مع ظاهرتين مختلفتين على مستوى البنية النحوية: إحداهما تتعلق بالعناصر الغائبة غير المنطوقة وهي الصفرية، والأخرى تتعلق بالعناصر المنطوقة التابعة لغيرها في الإعراب وهي نظرية التابع. ويمثل هذا التمايز دلالة عميقة على أن النحوي العربي لم يقتصر في تحليله على المعطى السطحي

للجملة، بل تجاوز ذلك إلى ما يُفترض وجوده ذهنياً أو ما يتطلبه السياق والتقدير العقلي، وهذا ما يتجلى بوضوح في تعاملهم مع المحذوفات والتقديرات النحوية.

أظهرت الشواهد التي تم تحليلها أن مفهوم "الصفر النحوي" لم يكن غريباً عن الذهنية النحوية العربية، وإن لم يُصطلح عليه بهذا الاسم. فسيبويه في الكتاب مثلاً، حين يتحدث عن الفاعل المستتر في "قام"، لا يكتفي بوصفه غائباً، بل يقرّره من حيث الإعراب والمعنى بقوله: "والفاعل لا بد منه، وإن لم يُلفظ به" (سيبويه، الكتاب، ج1، ص72). كما نجد لدى ابن هشام في مغني اللبيب عناية واضحة بتقدير الخبر في مواضع متعددة، مثل قوله في "زيد في الدار": "الخبر محذوف، والتقدير: كائن أو مستقر" (ابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص121). وهذا يشير إلى أن الحذف في النحو العربي لم يكن غفلة عن تركيب ناقص، بل مقصود لحكمة بلاغية أو اقتصادية، يُعوَّض عنه بالتقدير الذهني في التحليل.

عبّر تمام حسان عن هذه الظاهرة بقوله: "العنصر الصفري عنصر وظيفي لا يُنطق، لكنّ السياق أو الصناعة النحوية تقتضي وجوده، والنحو العربي تعامل معه بمرونة دون حاجة إلى تعيين لفظي صريح" (تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص113، 1980). بل إن ما يُسمى اليوم في اللسانيات التوليدية بـ Zero Category هو ما كان النحوي العربي يتعامل معه تحت مسمّى "المحذوف" أو "المستتر" أو "المقدر" (Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, 1965, p. 117).

على الجهة الأخرى؛ كشفت نتائج الدراسة أن التابع – رغم كونه عنصراً ملفوظاً – لا يملك استقلالاً نحوياً، بل يتبع ما قبله من حيث الإعراب، وهو ما يجعل وظيفته قائمة على مفهوم التطابق التركيبي بينه وبين المتبوع. وقد فصّل ابن هشام في تقسيم التوابع وأحكامها، معتبراً أن النعت والبدل والعطف والتوكيد جميعها تُمثل ظواهر اتساق نحوي تعكس التلازم بين الألفاظ داخل التركيب الواحد (ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص33–66). ويبرز ذلك بوضوح في مثال "قابلت زيداً نفسه"، حيث "نفسه" لا يُعرب إلا في ضوء موقع "زيد"، ما يدل على أن التابع لا يُمكن فصله عن السياق التركيبي الكلي.

وقد أشار عبد العال سالم مكرم إلى هذا الطابع التركيبي للتابع، مؤكداً أنه "وسيلة لتماسك الجملة وتأكيد النسبة، لا مجرد تابع لفظي" (عبد العال مكرم، النحو العربي: قضاياه ومناهجه، ص159، 1995). وهذا الرأي يتقاطع مع ما ورد في الدراسات اللسانية الحديثة، مثل ما طرحه هاليدي في نظريته عن الاتساق النصي، حيث اعتبر أن التوابع أدوات cohesion تعمل على ربط أجزاء الخطاب ببعضها بطريقة نحوية واضحة (Halliday & Hasan, Cohesion in English, p. 219, 1976).

في مقارنة الدراسة بين النظريتين، تبيّن أن العنصر الصفري والتابع يشتركان في كونهما لا يتمتعان بالاستقلال الإعرابي، ولكنهما يختلفان جذرياً من حيث الطبيعة والوظيفة. فالعنصر الصفري يتم تقديره ذهنياً، ويعتمد في وجوده على السياق أو الصناعة، وهو أقرب إلى البنية العميقة في اللسانيات التوليدية، في

حين أن التابع عنصر ظاهر يعتمد في إعرابه على عنصر قبله، ويشتغل في إطار البنية السطحية. وهذا يثبت أن النحو العربي قد راعى كلا المستويين في تحليله: الظاهر الملفوظ، والمقدّر المحذوف، وقد عبّر محمد حماسة عبد اللطيف عن هذا التمييز بقوله: "الفرق بين المحذوف والتابع ليس في الظاهر فقط، بل في آلية التمثيل النحوي ذاتها؛ فالمحذوف يُعاد بناؤه تقديراً، والتابع يُفهم من خلال التطابق" (عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص201، 2001). وهكذا، يكون النحو العربي قد سبَق في معالجته لهذه الظواهر كثيراً من اللسانيات الحديثة التي تفصل بين البنية العميقة والبنية السطحية.

إنّ هذه المقارنة التحليلية بين النظريتين قد حققت أهداف الدراسة التي سعت إلى تأصيل كل نظرية، وبيان وظيفتها البنيوية، وكشفت في الوقت ذاته عن أن النحو العربي يمتلك أدوات تحليلية عقلية مرنة تمكّنه من تفسير غياب العناصر أو خضوعها لغيرها دون إخلال بنظام الجملة. كما أثبتت الدراسة الفرضية التي انطلقت منها، ومؤداها أن كلا النظريتين – الصفرية والتابع – تنطلقان من أساس مشترك هو عدم الاستقلال الإعرابي، وإن اختلفت آليات اشتغالهما داخل البنية.

بناء على هذا كله يمكن القول: إن هذه الدراسة قد وفّقت في معالجة المشكلة المطروحة، وأجابت عن سؤالها المركزي المتعلّق بأوجه التلاقي والاختلاف بين الصفرية والتابع، وأثبتت بالأدلة النصية والتحليلية أن النحو العربي يمتلك تصوّراً متوازناً في التعامل مع الحضور والغياب في الجملة، وهو ما يفتح آفاقاً لمزيد من البحث المقارن بين مفاهيم النحو العربي واللسانيات الحديثة.

6: الخاتمة

تناولت هذه الدراسة موضوع "الصفرية والتابع في النحو العربي" بوصفهما آليتين مختلفتين لمعالجة البنية النحوية في اللغة العربية، وكشفت من خلال التحليل والمقارنة أن الصفرية تمثّل تقديراً ذهنياً لعناصر محذوفة من الجملة، تُستعاد اعتماداً على السياق أو القواعد، في حين يمثّل التابع عنصراً ظاهراً يتبع متبوعه في الإعراب دون استقلال. وقد أظهرت النتائج أن كلا النظريتين يسهم في ضبط بنية الجملة وتحقيق التماسك التركيبي والدلالي، وأن النحو العربي استطاع بمرونة عالية الجمع بين معالجة الغائب والموجود على حد سواء.

كما أثبتت الدراسة أن الصفرية تعبّر عن بُعد تأويلي عميق في التحليل النحوي، يرتبط بالبنية العميقة، في حين يرتبط التابع بالبنية الظاهرة من خلال نظام التوافق الإعرابي. وبذلك تحققت أهداف الدراسة في توضيح معاني النظريتين، ومعالجة الإشكالية المتعلقة بالفروق بين العنصر المقدّر والعنصر التابع، كما تأكدت الفرضية القائلة بأن النحو العربي يملك منظومة متكاملة لمعالجة العناصر غير المستقلة نحوياً، سواء أكانت محذوفة أم ملفوظة تابعة، وتفتح هذه الدراسة المجال أمام مزيد من الأبحاث المقارنة بين مفاهيم

النحو العربي التقليدي والنظريات اللسانية الحديثة، بما يعمّق فهمنا للبنية العربية ويؤكّد أصالة الفكر النحوي العربي في التعامل مع الحضور والغياب داخل الجملة.

الهوامش:

---

[i] عضو هيئة تدريس بكلية التربية- المحويت، جامعة صنعاء، اليمن، باحث في كلية إم إي إس ممباد، جامعة كاليكوت.

[ii] أ.د. عبده ب. عبده بي. أستاذ (متقاعد)، قسم اللغة العربية، كلية سري نيلاكنتا الحكومية السنسكريتية – بتامبي مشرف البحوث، بقسم الدراسات العليا والبحث في اللغة العربية، كلية إم إي إس ممباد (مستقلة)، ممباد.

[iii] د. سابق أم. ك. أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، وعميد كلية ممباد، كيرلا الهند.

قائمة المراجع

1. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار التراث، 2004.
2. ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر، 1992.
3. ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف. *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. القاهرة: مكتبة دار السلام، 1997.
4. ابن يعيش، موفق الدين. *شرح المفصل*. تحقيق يوسف حسن عمر. بيروت: عالم الكتب، 1993.
5. الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. تحقيق عبد الفتاح شلبي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
6. السيوطي، جلال الدين. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، 2002.
7. تمام حسان. *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: دار الثقافة، 1980.
8. حماسة عبد اللطيف، محمد. *النحو والدلالة: دراسة تطبيقية في ضوء علم اللغة الحديث*. القاهرة: دار الشروق، 2001.
9. عبد العال سالم مكرم. *النحو العربي: قضاياه ومناهجه*. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1995.
10. عيد، محمد. *النحو العربي: قواعد وتطبيق*. القاهرة: دار الفكر العربي، 1985.
11. سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، 1988.
11. Chomsky, Noam. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: MIT Press, 1965.
12. Halliday, M.A.K., and Hasan, Ruqaiya. *Cohesion in English*. London: Longman, 1976.

List of sources and references:

1. **Ibn ʿAqīl, ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Raḥmān.** *Sharḥ Ibn ʿAqīl ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik.* Taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd. Bayrūt: Dār al-Turāth, 2004.
2. **Ibn Hishām al-Anṣārī, ʿAbd Allāh ibn Yūsuf.** *Mughnī al-Labīb ʿan Kutub al-Aʿārīb.* Taḥqīq Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd. Bayrūt: Dār al-Fikr, 1992.
3. **Ibn Hishām al-Anṣārī, ʿAbd Allāh ibn Yūsuf.** *Awḍaḥ al-Masālik ilā Alfiyyat Ibn Mālik.* al-Qāhira: Maktabat Dār al-Salām, 1997.
4. **Ibn Yaʿīsh, Muwaffaq al-Dīn.** *Sharḥ al-Mufaṣṣal.* Taḥqīq Yūsuf Ḥasan ʿUmar. Bayrūt: ʿĀlam al-Kutub, 1993.
5. **al-Akhfash al-Awsaṭ, Saʿīd ibn Masʿada.** *Maʿānī al-Qurʾān.* Taḥqīq ʿAbd al-Fattāḥ Shalabī. al-Qāhira: al-Hayʾa al-Miṣriyya al-ʿĀmma lil-Kitāb, 2000.
6. **al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn.** *Hamaʿ al-Hawāmiʿ fī Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ.* Taḥqīq ʿAbd al-Salām Hārūn. Bayrūt: Dār al-Fikr, 2002.
7. **Tammām Ḥassān.** *al-Lugha al-ʿArabiyya: Maʿnāhā wa Mabnāhā.* al-Qāhira: Dār al-Thaqāfa, 1980.
8. **Ḥamāsa ʿAbd al-Laṭīf, Muḥammad.** *al-Naḥw wa al-Dalāla: Dirāsa Taṭbīqiyya fī Ḍawʾ ʿIlm al-Lugha al-Ḥadīth.* al-Qāhira: Dār al-Shurūq, 2001.

9. ʿ**Abd al-ʿĀl Sālim Makram.** *al-Naḥw al-ʿArabī: Qaḍāyāhu wa Manāhijuhu.* al-Qāhira: Maktabat al-Khānjī, 1995.
10. ʿ**Īd, Muḥammad.** *al-Naḥw al-ʿArabī: Qawāʿid wa Taṭbīq.* al-Qāhira: Dār al-Fikr al-ʿArabī, 1985.
11. **Sībawayh,** ʿ**Amr ibn** ʿ**Uthmān.** *al-Kitāb.* Taḥqīq ʿAbd al-Salām Hārūn. Bayrūt: Dār al-Jīl, 1988.

ISSN: 2394-4862
مجلة اللغة
علمية . محكمة . مصنفة .